

القتال من اجل الحب على طول الجبهة الطائفية في العراق

Author: Abeer Mohammed

زوجان من طائفتين مختلفتين يصفان صعوبة الحفاظ على زواجهما في زمن الحرب

عبير محمد من بغداد (تقرير الازمة العراقية رقم. 332، 16-نيسان/ابريل-2010)

حين تبادلت فاطمة وياسين نظراتهما الاولى في احد اسواق بغداد، لم يفكر اي منهما في الخلاف القديم بين طائفتيهما والذي سيدفع بلدهما، فيما بعد، الى هاوية التمزق.

فعندما كانت فاطمة تتبضع الملابس، مر ياسين مع اصدقائه. وحين رآته لأول مرة، أدركت فاطمة آنذاك بانها ترغب في رؤيته مرة اخرى.

مرر ياسين رقم تلفونه لها، وفي الليلة نفسها أجريا اول اتصال لينطلقا في علاقة عاطفية لم تعر اهتماما يذكر لاصوله السنية او لجذورها الشيعية.

والهوة الطائفية المؤلمة التي تمزق العراق اليوم، لم تكن قبل عقد من الزمان سوى حالة اختلاف بسيط تم اهماله من قبل الحبيين بسهولة.

وفي حديث الى معهد صحافة الحرب والسلام، تتذكر فاطمة التي اشترطت عدم ذكر اسمها الحقيقي ولا اسم زوجها " لم تكن هناك مشكلة في ان يقترن رجل سني بامرأة شيعية في عام 1999" وتابعت "كانت عائلتي وعائلته موافقتان على زواجنا".

وفي ذروة الصراع الطائفي بين السنة والشيعية في عام 2006، كان الزوجان يملكان بيتاً في حي اليرموك غربي بغداد ولديهما طفلين. وحين تحولت منطقتهم الى معقل للمسلحين السنة، بدى ان التوازن الطائفي يزداد اختلالا داخل عائلتهما.

وبعد تلقيها تهديدات مستمرة عبر الهاتف، رحلت فاطمة اخيرا مع طفلها الى بيت والديها في حي الكاظمية الشيعية.

وظل ياسين في حي اليرموك. وفي احد الايام زار زوجته واصطحب طفليه قائلا لها بانه ياخذهما الى نزهة، لكنهم لم يعودوا ابدا.

وقالت فاطمة " في غضون اسبوع واحد اكتشفت بانه سافر مع الاطفال الى سوريا، وذلك بعد ان اقنعه والداه بان زواجه مني كان امرا خاطئاً".

وتابعت قائلة " اخبراه بانني حتى لو كنت فتاة سالحة فان اقربائي الشيعة سيقتلونهم انتقاما لطائفتهم، واعدوا له سلفا الزواج من فتاة سنية في سوريا".

ثمن غال

وقد أعاد الصراع الطائفي الذي اعقب الغزو الذي قادته الولايات المتحدة، تشكيل مئات الاحياء وتراكيبها السكانية، مغيرا من التعايش الاجتماعي الذي استمر قرونا، لكنه نادرا ما استطاع تقسيم العماد الذي بني على اساسه المجتمع العراقي، الا وهو الاسرة.

فلم يتغلغل الصراع كثيراً داخل الاسرة بقدر ما ضرب عميقا المناطق التي كان السنة والشيعية يعيشون فيها جنبا الى جنب.

وتحول الاصدقاء والزملاء الى اعداء يحاولون التخلص من بعضهم البعض في الاحياء والمؤسسات التي كانت الحدود الطائفية فيها تمتزج وتتداخل دون تمييز. وفي خضم القتال الطائفي غدت كيانات مثل العائلة والعشيرة أكثر قوة، لانها كانت محصنة من التقسيم الطائفي الى حد كبير.

ففي ارض تقاسمها السنة والشيعية منذ فجر الاسلام، كانت أغلبية الزيجات تتم بين افراد الطائفة الواحدة. ويعتبر ياسين وفاطمة استثناء مؤثرا، وهما ينتميان الى اقلية كبيرة نسبياً من الذين لايعبر زواجهما اهتماما للتقسيم الطائفي.

وتصالح الزوجان بعد ان اتصل ياسين وفاطمة متوسلا ان تغفر له ومعبرا لها عن اشتياقه. كما ورفض ياسين المرأة التي اختارها والداه له، ودعا فاطمة الى سوريا لكي تعيش معه. ولازال الزوجان يعيشان هناك.

وفي حديث لمعهد صحافة الحرب والسلام خلال زيارتها الاخيرة الى اهلها واقاربها في بغداد، قالت فاطمة " كادت الطائفية ان تقتلني وتكلفتني عائلتي. لقد اجزت الخط الفاصل لكنني لازلت اشعر بالألم".

واضافت " مازلت ادفع ثمن العيش في الغربة". وبالرغم من تراجع الصراع الطائفي منذ 2006، إلا ان فاطمة قالت بانها لا تخطط للعودة، فمن الممكن لـ"المناخ الطائفي" ان يهدد زواجها مجددا.

ولا توجد احصائية رسمية عن عدد الأزواج الذين تجاوزوا الانقسام الطائفي. فليس هناك اشارة الى المذهب الديني في عقود الزواج، كما ان القانون لا يسمح بالطلاق على اساس طائفي.

العنف وتوتراته

وطالب جميع الأزواج الذين تزوجوا من غير طائفتهم في مقابلاتهم مع معهد صحافة الحرب والسلام الا نذكر اسمائهم الحقيقية. وقد تشابهت جوانب عديدة من قصصهم بشكل يثير الدهشة، شاهدة على الاصرار العنيد على الحب وسط اتون الحرب.

كما و تفتح قصصهم نافذة على البيئة المحلية حيث التوتر يتأجج عبر مواضيع متعددة كمعتقدات الاطفال، زيارات الاقارب، واخبار السياسة اليومية والتفجيرات وعمليات القتل.

يقول احمد، وهوشييعي في الاربينيات من عمره، ويعمل في مجال صناعة المحركات "لا مشاكل طائفية بيني وبين زوجتي طالما انها غير مهتمة بالسياسة" ويضيف احمد "زوجتي كانت ومازالت سيدة جميلة".

وقد اقترن احمد بزوجه ميسون، وهي من عائلة سنية ومن نفس الحي، بالرغم من معارضة اخوها في بداية الامر. وقال احمد " اراد التحدث معي على انفراد اذ كان قلقا على اخته. وتحدثنا مطولا حول جميع القضايا الدينية، ومنذ ذلك الوقت اصبح صديقي المقرب".

وتربى أطفالهما على مذهب والدهم. وتقول ميسون بانها تتبنى الصلاة على الطريقة الشيعية بحضور اهل زوجها. وتقول "انزعج احيانا حين اسمع اقربائه ينتقدون رجال الدين السنة الذين يتهونهم باصدار فتاوى بقتل الشيعة".

وتضيف ميسون بان احمد عادة ما يزيل التوتر بملاطفتها الجو بعبارات ساخرة مثل " احب عيونك الراهبية".

وقال احمد ان سنوات القتال الطائفي جعلت من العراقيين جميعهم متوترين. ويتذكر احمد بشعور من الذنب، عودته الى البيت بعد جنازة صديق له قتل في تفجير احد اسواق بغداد.

"كرهت كل السنة في تلك اللحظة" قال أحمد. " واستنتي زوجتي فائلة سيرحم الله صديقك. لكنني اجبتها بانه سوف لن يرحم السنة الراهبيين".

وتابع احمد " رمقتني بنظرات استغراب لكنها لم تنبس بينت شفة. أردت الاعتذار لها إلا انني لم أفعل".

دماء ودموع

ويبدو ان العنف اليومي والبنية السياسية الهشة للعراق الجديد يمتحان باستمرار العلاقات بين الافراد الذين ينتمون الى طائفتين مختلفتين.

فالمحاسبة الشيعية، ندى في الثلاثينيات من عمرها، التقت بزوجه حارس الامن السني سليم في حفل زفاف احدي صديقاتها.

" أحببت اعتزازه بنفسه ورغبت في التحدث معه" قالت ندى ضاحكة. " آنذاك لم نكن نتحدث في الدين او السياسة كما نعمل الآن".

وتقول ندى، انها وزوجه تجادلا حول اطلاق الاسماء على اطفالهم. " اردت ان اسميهم اسماء شيعية بينما اراد هو ان يسميهم باسماء سنية". وازافت بانهما توصلا الى اتفاق وسط بشأن اسم ابنتهما الكبرى، والذي كان اسما مقبولا لدى الطائفتين.

ويقي على الوالدين ان يقررا على اساس تعاليم اي مذهب سيربون اطفالهم الثلاثة. " لطالما ادت مناقشة تلك النقطة الى خلاف بيننا." قالت ندى.

" من المحتمل اننا سنتبنى مبدأ المحاصصة الطائفية بشأن ذلك مثلما يفعل ساستنا، وهكذا يكون أحد الاطفال سنيا والآخر شيعياً وهكذا دواليك". قالت ندى ضاحكة مشيرة بذلك الى النظام الذي يتم على اساسه توزيع المناصب الكبرى من قبل البرلمان.

واختلف الزوجان في الانتخابات الاخيرة حول الشخص الذي سيصوتان له، مفضلين ان يصوت كل منهما لصالح مرشح بارز في طائفتيها. وقالت ندى بانهما وصلا في النهاية الى اتفاق ليصوتا لمرشح مغمور يتم اختيار اسمه بطريقة عشوائية.

وتقول ندى " تحدثت الازمات بيننا لكننا نتغلب عليها لاننا عائلة ولدينا اطفال، وليس من السهولة الانفصال في علاقة كهذه".

وحاولت بعض العوائل المختلطة طائفيًا ان تهدأ من الخلافات من خلال تجنب الاشارة الى الطائفة نهائيًا.

وتقول فاطمة بانها تريد ان يختار اولادها المذهب الذي يريدونه عندما يكبرون، ولا تحب زيارات اهل زوجها الذين يصرون على ان يصلي جميع افراد العائلة وفق المذهب السني.

واشارت فاطمة الى ان سبب بعض خلافاتها مع زوجها هو التعليقات التي يطلقها اهل زوجها. ويبدو ان والدي فاطمة يميلان الى القاء اللائمة على السنة عند وقوع اي تفجير.

ومن ناحية اخرى، قالت فاطمة بان زوجها اخبرها مرة بان المجازر بحق الشيعة مبررة وذلك بعد علمه باختفاء ابن عمه في احدي المناطق التي يقطنها الشيعة " بالكاد استطعت النوم في تلك الليلة و ندمت على زواجي منه".

وبالرغم من كل هذه الاحداث، تعتقد فاطمة بان استمرار علاقتها مع زوجها برهان على انه يمكن تجاوز الطائفية.

"اربقت الدماء وذرفت الدموع كثيرا باسم الطائفة، لكن يمكن تجنب هذا اذا ما اتخذ الناس خياراتهم". قالت فاطمة.

الوظيفة الاجتماعية

وتعتقد عاليه، الموظفة البالغة من العمر اربعين عاما، بان اتخاذ الخيار أمر صعب. وتقول عاليه وهي ابنة احد المنقن الشيعة بانها لم تعر اي اهتمام لطائفتها الى ان تم اختطاف أخيها وقتله من قبل السنة قبل ثلاث سنوات.

" طلب شخص سني يدي للزواج" قالت عاليه، لكن تم رفض الطلب. " أصبحت الامور معقدة، فلا يمكن لعائلتي نسيان دم ابنها".

ويعتقد بان عدد الزيجات المختلطة مذهيبا قد تراجع بشكل كبير خلال الصراع الطائفي عن مستويات التي حظي بها اثناء حكومة صدام حسين العلمانية نسبياً. ومع عودة هدوء نسبي الى العراق، يلاحظ المراقبون بان هذا النوع من الزواج يشهد تحسناً.

ويقول سليم الموسوي، القاضي وعضو في لجنة حكومية تنظر في الشؤون الاجتماعية " ان اغلبية العراقيين لا يعطون الأولوية للمذهب عند عقد القران"، مضيفاً بان التحالفات بين العشائر تتجاوز الاختلافات الطائفية أحياناً.

ويقول فاضل كامل، استاذ علم الاجتماع بجامعة المستنصرية في بغداد، بان شعبية العلاقات المختلطة مذهيبا تزداد في اوقات استتباب الامن، مشيراً الى احتمال عملها كوظيفة اجتماعية مفيدة.

" في مجتمع ممزق، تساعد الزيجات المختلطة على التغلب على احقاد الماضي". قال كامل.

ويقول زعماء الدين من كلا الطائفتين بانه لا يوجد حظر رسمي على الزواج بين اتباعهما.

ويقول رجل الدين السني البارز، الشيخ محمد الغريبي، ان الاقتران بين ابناء الطائفتين لا يشكل اي تهديد للديموغرافية الطائفية.

" هناك رجال شيعة يتزوجون من نساء سنديات وهناك رجال سنديون يتزوجون نساء شيعيات. اذن فهناك توازن في هذا الامر".

ومن جهته أكد الشيخ حمدالله الشيهاني، وهو رجل دين شيعي من التيار الصدري الذي يعارض الوجود الامريكى في العراق، بانه لا يوجد اي حظر على الزواج بين ابناء الطائفتين، كما وليس هناك أي الزام بتغيير المتزوجين لمذهبهم. لكنه حذر الشيعة من الزواج بالسنة الذين لا يحترمون المعتقدات الشيعية.

عبيد محمد، كبيرة المحررين المحليين بمعهد صحافة الحرب والسلام في بغداد. وساهمت الصحفية المتدربة في المعهد هند الصفار في كتابة هذا التقرير.

Iraq:Location

Source URL: <https://iwpr.net/ar/global-voices/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AA%D8%A7%D9%84-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D8%AC%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B7%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A8%D9%87%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A6%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A>